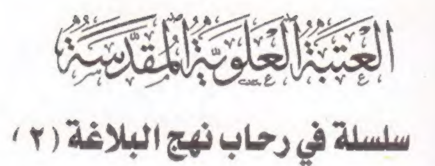


سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٢)

منازل الآخرة

في نهج البلاغة

إعداد مكتبة الروضة الحيدرية

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ٢



منازل الآخرة

في نهج البلاغة

إعداد

مكتبة الروضة الحيدرية

منازل الآخرة في نهج البلاغة

- الناشر: العتبة العلوية المقدسة
- إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية
- تنضيد وإخراج : نذير هندي الكوفي
- عدد النسخ: ١٠٠٠نسخة
- السنة : ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم



تمهيد:

قال تعالى: ﴿وَما هذِهِ الْـحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَـهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْـحَيَوانُ لَوْ كـانُوا يَعْلَمُـونَ﴾[1] تـشير الآيـة الكريمـة إلى انّ الحيـاة الحقيقية هي الحياة الاخرويـة، وانّ الـدنيا سـراب وخيـال ولا حيـاة حقيقية فيها.

ويدل قوله تعالى: ﴿يـا أَيُّهَـا الإِنْـسانُ إِنَّـكَ كـادِحٌ إِلى رَبِّـكَ كَـدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾[2] على انّ الانسان في هذه الدنيا مسافر، وسيرحل عنهـا إلى داره ومقره؛ وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا وقال: «وأنـتم بنـو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقـد أُوذنـتم فيهـا بالارتحـال

١- العنكبوت: ٦٤.

٢- الانشقاق: ٦.

وأُمرتم فيها بالزاد»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «فانّما مثلكم ومثلها [أي الدنيا] كَسَفْرٍ سلكوا سبيلاً فكأنّهم قد قطعوه، وأمّوا علماً فكأنّهم قد بلغوه...»[2]. وقال أيضاً: «انّ أهل الدنيا كركب بينا هم حلّوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا»[3].

وللآخرة منازل استخرجناها من نهج البلاغة؛ فكان هذا الكتاب، وذلك لنأخذ العدّة، ولا يهجم علينا الموت ونحن في غفلة.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٨.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٠٣.

المنزل الأول
المـوت

١- شوق اللقاء:

انّ شوق اللقاء والانس بالموت لمن أبرز صفات الأولياء، حتى انّ الله تعالى قال في مقام الرد على اليهود الذين ادعوا كذباً وزوراً انّهم أولياء الله: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لله مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْـمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[1] وذلك انّ من كان صاحب محبة يتمنّى لقاء محبوبه، فمن لا يتمنى ذلك لا يكون صادق المحبة.

وهذا الشوق نراه في أمير المؤمنين عليه السلام حيث كان يقول: «والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه»[2] ويقول ايضاً: «وانّي إلى لقاء الله لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج»[3] ويقول تارة اخرى: «وانّ أحبّ ما أنا لاق اليّ الموت»[4].

ولّما بشّره رسول الله صلى الله عليه وآله بالشهادة، وسأله عن صبره حينذاك قال عليه السلام: «يارسول الله ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر»[5].

١- الجمعة: ٦.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٠.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٦.

وهذه الخلق تجسدت في أولاده وأحفاده، ولذى نرى القاسم ابن الامام الحسن عليه السلام في كربلاء رابط الجأش مستبشراً ببشارة الشهادة وقائلاً لعمه الحسين عليه السلام لما سأله عن الموت: «ياعم أحلى من العسل» وهكذا كان أصحاب الحسين عليه السلام حيث وصفهم بقوله: «يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن امه».

هذا الحب وهذا الشوق من أبرز صفات العارفين، وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية يتهدّده بهم: «متسربلين سرابيل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم»[1]. وقال أيضاً فيهم: «ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب»[2]. وقال عليه السلام: «أين عمار وأين ابن التيهان وأين ذو الشهادتين، وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية»[3]. فهؤلاء هم الذين «صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى»[4].

هذا وقد ورد في مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام في وصف المشتاقين: «المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذ شراباً، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس ليناً، ولا يقرّ قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً راجياً بأن يصل إلى ما

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٢٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٣٧.

يشتاق إليه، ويناجيه بلسان شوقه معبراً عما في سريرته... ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة الّا خلاصه، وقد نسي كل شيء دونه»[1].

هذه الخصلة ربما لا تكون في كثير منّا، وليس ذلك الّا للحجب التي غطت قلوبنا، وأبعدتنا عن المعرفة وعن تذوق حلاوة المحبة، فعلينا **أولاً**: الدعاء بأن يرزقنا الله تعالى شوق لقائه، فقد ورد في زيارة أمين الله: «اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك... مشتاقة إلى فرحة لقائك»[2]. وكذلك ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في مناجاة المريدين: «وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون» وفي مناجاة المحبين: «الهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك... وشوقته إلى لقائك» وفي مناجاة العارفين: «الهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم».

وثانياً: استذكار نعم الله تعالى في الجنة والتفكر فيها، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شوقوا أنفسكم إلى نعيم الجنة تحبوا الموت وتمقتوا الحياة»[3] ويقول عليه السلام أيضاً بعدما وصف الجنة: «فلو شغلت قلبك أيها المستمع بالوصول إلى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة، لزهقت نفسك شوقاً إليها، ولتحمّلت من مجلسي هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً بها»[4].

١- مصباح الشريعة: ١٩٦.

٢- مصباح المتهجد للطوسي: ٧٣٨.

٣- غرر الحكم رقم: ٥٧٧٩.

٤- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٥.

وثالثاً: التفكر في النعم الدنيوية التي هيأها الله تعالى للإنسان، وكذلك نعمة ارسال الرسل والأنبياء لتقويم الانسان وهدايته، مما يدلّل على شفقته وحبه للانسان، وهذا ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام لما سئل: بماذا أحببت لقاء الله؟ فقال: «لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه، علمت انّ الذي أكرمني بهذا ليس ينساني، فأحببت لقاءه»[1].

ومع هذا كله فأمير المؤمنين عليه السلام يلفت انتباهنا إلى نقطة مهمة، وهي أن لا نتمنى الموت قبل أن نستعد له، فقد قال عليه السلام: «ولا تتمن الموت الّا بشرط وثيق»[2] أي لا تتمن الموت الّا وأنت واثق من أعمالك الصالحة، وتحصيل ما يوجب رفع الدرجات في الآخرة.

٢ - ذكر الموت:

انّ من أهم دواعي التنفير من الدنيا والتزود للاخرى ذكر الموت، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «يابني أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه، وتفضي بعد الموت إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك، وشددت له أزرك، ولا يأتيك بغتة فيبهرك»[3].

ويقول أيضاً: «طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب»[4].

ويوصي عليه السلام المسلمين عموماً ويقول: «وأوصيكم بذكر الموت،

١- البحار ٦: ١٢٧.

٢- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٩.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٩.

واقلال الغفلة عنه، وكيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم»[1] وأيضاً: «أسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم»[2].

وقد وصف عليه السلام خلّص صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم»[3].

ولذكر الموت فوائد كثيرة ومنافع جمة، وقد ورد ذكر بعضها في نهج البلاغة وهي:

ألف: ترك اللهو واللعب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما والله اني ليمنعني من اللعب ذكر الموت»[4].

ب: ترك الشهوات والملاذ الدنيوية:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا فاذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وقاطع الامنيات عند المساورة للأعمال القبيحة»[5] وقال عليه السلام: «فانّ الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، ومباعد طياتكم»[6] وقال عليه السلام: «اذكروا انقطاع اللذات، وبقاء التبعات»[7].

وقال عليه السلام: في عهده للاشتر بعدما أمره بترك خصال: «ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك»[8].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٨.
٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٢.
٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٦.
٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٨.
٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٨.
٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.
٧- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٢١.
٨- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

ج: خشوع القلب:

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: «وأحي قلبك بالموعظة... وذلله بذكر الموت»[1] وقال: «وبقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع، واراق دموعهم خوف المحشر»[2].

د: القناعة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير»[3].

هـ: الأعمال الصالحة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد فانّ من لم يحذر ما هو صائر إليه، لم يقدم لنفسه ما يحرزها»[4]. وقال عليه السلام: «ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات»[5]. وقال: «من تذكر بعد السفر استعد»[6].

٣- حتميّة الموت للإنسان:

انّ من نتائج الانغمار في ملاذ الدنيا نسيان الموت، رغم ما نرى من كثرة الموتى حولنا، فكأنّ الموت فيها على غيرنا كتب، وهذه آفة لابد أن نتخلص منها ونتيقن بأنّنا ميتون، وهذا ما أمر به أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام حيث أمره بإحياء قلبه بالمواعظ وبصفات أخر،

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٢.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٣٩.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥١.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٧.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٧١.

ثم قال: «وقرّره بالفناء»[1] ويأمرنا بذلك أيضاً ويقول: «فحقّقوا عليكم نزوله ولا تنتظروا قدومه»[2].

وتقريراً لذلك يذكر أمير المؤمنين عليه السلام شواهد ممن مات من الأنبياء والعظماء ويقول: «فلو انّ أحداً يجد إلى البقاء سلماً أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سُخّر له مُلك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة، فلما استوفى طعمته، واستكمل مُدّته، رمته قسيّ الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية، والمساكن معطلة، ورثها قوم آخرون، وانّ لكم في القرون السالفة لعبرة»[3].

انّ الموت يلازمنا ولا ينجو منه أحد، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطى البقاء من أحبه»[4] «والدنيا دار مُني لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء»[5] ويوصينا عليه السلام ويقول: «فأزمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها الزوال»[6] ويذكرنا بانّ الدنيا «كل مدّة فيها إلى انتهاء، وكل حيّ فيها إلى فناء»[7] والله تعالى وعد نفسه وألزمها بذلك، قال عليه السلام: «ووأى على نفسه ألّا يضطرب شبحٌ ممّا أولج فيه الروح إلّا وجعل الحمام موعده، والفناء غايته»[8].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٣٨.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤٥.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٢.

٧- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٨.

٨- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٥.

وهذه الحتمية وهذا اللزوم لا ينفعه الفرار، إذ انّ «الأجل مساق النَفْس والهرب منه موافاته»[1] وذلك لانّ «الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب»[2] وقد قال عليه السلام أيضاً: «وأنتم طرداء الموت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، وهو الزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوى من خلفكم»[3] وأخيراً يوصي ابنه الإمام الحسن عليه السلام ويذكره ويقول له: «وانّك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولابد انّه مدركه»[4].

٤- سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت:

ربما يغتر الانسان ويغفل رغم إذعانه واعترافه بأصل الموت، ولكن يزعم انّ بينه وبين الموت مسافة، وانّه غير مدركه بهذه السرعة، فهو في غفلة عنه، ولم يجعله من أولويات مهامّه وأموره التي لابد أن يفكر فيها.

انّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام مشحون بتذكير سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت، فيقول عليه السلام: «انّ غداً من اليوم قريب، ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهور، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر»[5].

ويقول أيضاً: «الأمر قريب والاصطحاب قليل»[6].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٢.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٧.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٨.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٦٩.

ويقول: «الرحيل وشيك»[1] «ما أقرب الحيّ من الميت للحاقه به، وأبعد الميت من الحيّ لانقطاعه عنه»[2] «ولينظر امرؤٌ في قصير أيامه، وقليل مقامه، في منزل حتى يستبدل به منزلاً»[3] «اذا كنت في إدبار والموت في اقبال فما أسرع الملتقى»[4] ويحذرنا عليه السلام ويقول: «فاحذروا عباد الله الموت وقربه»[5] ويقول لابنه الحسن عليه السلام : «وكأنك عن قليل صرت كأحدهم»[6].

والمتصفح لنهج البلاغة يجد الكثير من هذه العبارات التي تذكّرنا بقرب الرحيل وسرعته، وإليك بعضها:

«أما بعد فانّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وانّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع»[7].

«فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وانقطعت منكم علائق الامنية، ودهمتكم مفظعات الأمور، والسياقة إلى الورد المورود»[8].

«فانّها [أي الدنيا] والله عمّا قليل تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن... فلا يغرنّكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها»[9].

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٧٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٤.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٩٠.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٧.

٦- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٧- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٨.

٨- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٤.

٩- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٢.

«وما هو الّا الموت أسمع داعيه، وأعجل حاديه»[1].

«ما أقرب اليوم من تباشير غد»[2].

«واعلموا انّ ملاحظ المنية نحوكم دانية، وكأنّكم بمخالبها وقد نشبت فيكم، وقد دهمتكم فيها مفظعات الأمور ومعضلات المحذور»[3].

ولترسيخ هذه الفكرة في أذهاننا وقلوبنا يستخدم أميرالمؤمنين عليه السلام اسلوب التشبيه، فتارة يشبّه سرعة انقضاء الدنيا ببقية الماء في الاناء ويقول: «ألا وانّ الدنيا قد ولّت حذاء، فلم يبق منها الّا صبابة كصبابة الاناء اصطبها صابها»[4] «ألا وانّ الدنيا قد تصرمت وآذنت بانقضاء... فلم يبق منها الّا سملة كسملة الإداوة، أو جرعة كجرعة المقلة، لو تمزّزها الصديان لم ينقع»[5].

وتارة يشبّه سرعة انقضائها بالظل ويقول: «فانّها عند ذوي العقول كفيء الظل، بينا تراه سابغاً حتى قلص، وزائداً حتى نقص»[6].

واخرى بالمسافر فيقول: «فانّما مثلكم ومثلها كسَفْرٍ سلكوا سبيلاً فكأنّهم قد قطعوه، وأمّوا علماً فكأنّهم قد بلغوه، وكم عسى المجري إلى

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٣٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤٢.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٥٢.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٢.

الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها»[1] «فانّما أنتم كركب وقوف، لا يدرون متى يؤمرون بالسير»[2]. «انّ أهل الدنيا كركب بينا هم حلّوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا»[3] «وأنتم بنو سبيل على سَفَر من دار ليست بداركم»[4].

وأخيراً التمثيل بالليل والنهار ومجيئ الشمس والقمر، إذ انّ «الشمس والقمر دائبان في مرضاته، يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد»[5]. «وانّ غائباً يحدوه الجديدان: الليل والنهار، لحريّ بسرعة الأوبة»[6].

ويقول لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «واعلم انّ من كانت مطيته الليل والنهار، فانّه يُسار به وإن كان واقفاً، ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً»[7]. ويقول عليه السلام: «وانصرمت الدنيا بأهلها، وأخرجتهم من حضنها، فكانت كيوم مضى وشهر انقضى»[8].

فلماذا هذه الغفلة ياانسان، ألا تعلم انّ «نفس المرء خطاه إلى أجله»[9] و«رب مستقبل يوم ليس بمستدبره، ومغبوط في أول ليله قامت

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٩٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٧.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٠٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٩.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

٧- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٨- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

٩- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٦٩.

بواكيه في آخره»[1] وليس هذا الّا من طول الأمل والاغترار بالدنيا، إذ «لو رأى العبد الأجل ومسيره لأبغض الأمل وغروره»[2].

وهذا ما ينبهنا عليه أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: «قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة»[3]. وهذا هو سبب هلاك الماضين حيث يقول عليه السلام: «انّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم، وتغيّب آجالهم»[4].

فعلينا أن نستعد ونخشى حلول الموت ونحن في غفلة عنه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فبادروا العمل وخافوا بغتة الأجل» وهذا ما نبيّنه في الفقرة التالية.

٥- الاستعداد للموت:

بعدما قررنا قلوبنا بالفناء، وأثبتنا لها الموت وسرعة حلوله، لابد أن نستعد له ونأخذ حذرنا منه، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واستعدوا للموت فقد أضلكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا، وعلموا انّ الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فانّ الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار الّا الموت أن ينزل به... وانّ قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العُدّة، فتزوّدوا في الدنيا ما

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٧٠.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٢٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٧.

تحرزون به نفوسكم غداً»[1].

وقال لابنه الحسن عليه السلام: «فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك»[2]. فيأمر ابنه باصلاح المثوى، ويأمر غيره بالتجهيز ويقول: «تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقلّوا العُرجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد»[3]. ويقول عليه السلام: «فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدوا له عدته، فانّه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل، بخير لا يكون معه شر أبداً، أو شر لا يكون معه خير أبداً»[4].

وقال عليه السلام في وصف أحبّ العباد إلى الله تعالى عبد: «أعدّ القرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهوّن الشديد»[5].

وكثيراً ما نرى في نهج البلاغة الأمر بمبادرة الموت والاستعداد له، ونشير فيما يلي إلى بعضها:

قال عليه السلام: «رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى... وبادر الأجل، وتزوّد من العمل»[6].

وقال عليه السلام: «وبادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت، فانّ الناس أمامكم، وانّ الساعة تحدوكم من خلفكم»[7].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٦٣.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٤.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٧.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٦

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٥.

٧- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٧.

وقال عليه السلام: «فبادروا المعاد، وسابقوا الآجال، فانّ الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل، ويرهقهم الأجل، ويُسدّ عنهم باب التوبة»[1].

وقال عليه السلام: «وبادروا الموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله، وأعدوا له قبل نزوله... وبادروا آجالكم بأعمالكم، فانّكم قوم مرتهنون بما أسلفتم، ومدينون بما قدّمتم، وكأن قد نزل بكم المخوف، فلا رجعة تنالون، ولا عثرة تقالون»[2].

وقال عليه السلام: «وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم، وإن نسيتموه ذكركم»[3].

٦ - الاحتضار وسكرة الموت:

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ * وَقِيلَ مَنْ راقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ﴾[6].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٩٣.

٤- ق: ١٩.

٥- الأنفال: ٥٠.

٦- القيامة: ٢٦ - ٣٠.

ابتداء من الاحتضار تبدأ رحلة الانسان الاخروية، وهي عقبة مهولة ومصيرية، إما إلى الجنة وإما إلى النار، وحقيق بالانسان أن يستعد لها، ويطيل النظر حولها ليسلم من فزعاتها، إذ «انّ للموت لغمرات هي أفضع من أن تستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا»[1].

وقد ورد في نهج البلاغة موارد مختلفة لوصف ساعة الاحتضار، وما يحيق بالانسان من شدائد ومصاعب، نوردها كما هي ومن دون تعليق إذ انّ كلام الأمير عليه السلام أبلغ في الموعظة من أي شرح وتعليق:

قال عليه السلام في صفة أهل الغفلة: «دهمته فجعات المنية في غُبّر جماحه، وسنن مِراحه، فظلّ سادراً، وبات ساهراً في غمرات الآلام، وطوارق الأوجاع والأسقام بين أخ شقيق، ووالد شفيق، وداعية بالويل جزعاً، ولادمة للصدور قلقاً، والمرء في سكرة ملهية، وغمرة كارثة، وأنّة موجعة وجذبة مكربة، وسَوقة متعبة»[2].

وقال عليه السلام: «فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت، وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيّرت لها ألوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وانّه لبين أهله ينظر ببصره، ويسمع بأذنه على صحة من عقله، وبقاء من لبّه، يفكّر فيم أفنى عمره، وفيم أذهب دهره. ويتذكّر أموالاً جمعها، أغمض في مطالبها، وأخذها من مصرّحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها، فيكون

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

المهنأ لغيره والعبء على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه بها، فهو يعضّ يده ندامة على ما أصحر له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره، ويتمنّى انّ الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه. فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه وسمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يُردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم، ثم ازداد الموت التياطاً به، فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله، قد اوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه، لا يُسعد باكياً ولا يُجيب داعياً[1].

ويصف عليه السلام الانسان حال كونه طريح الفراش قد أيس منه أهله وأصدقاؤه: «فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الأحبة، إذ عرض له عارض من غصصه، فتحيّرت نوافذ فطنته، ويبست رطوبة لسانه، فكم من مهم من جوابه عرفه فعيّ عن ردّه، ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه، من كبير كان يعظّمه، أو صغير كان يرحمه، وانّ للموت لغمرات هي أفضع من أن تُستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا»[2].

وقال عليه السلام: «فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله، واحتدام علله، وحنادس غمراته، وغواشي سكراته، وأليم إرهاقه، ودجوّ أطباقه، وجشوبة مذاقه»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

وقال عليه السلام أيضاً في وصف تلك الشدائد: «فانّكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح الحجاب»[1].

فعلينا التفكر في هذه الأوصاف الموحشة والاستعداد والاستعاذة بالله تعالى، فقد ورد في الدعاء: «اللهم أعنّي على سكرات الموت، اللهم أعنّي على غمرات الموت»[2].

وفي مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «الهي الأمان عند سكرات الموت، وعند مفارقة الروح، وعند معاينة الموت» وعلينا بالأعمال التي تخفف سكرات الموت من قبيل: الاحسان إلى الاخوان، صلة الرحم، بر الوالدين، ترك الذنوب، صوم أربعة وعشرين يوماً من رجب أو صوم آخر رجب، وغيرها من الأعمال المذكورة في مظانّها.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٠.

٢- المصباح للطوسي: ٥٦٨.

المنزل الثاني
القبر

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واذكر قبرك، فانّ عليه ممرك»[1] ولما كان راجعاً من صفين مرّ على قبور بظاهر الكوفة فخاطبهم وقال: «يا أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق»[2].

هذا المنزل أيضاً مهول وعظيم، والانسان لو سلم من المنزل الأول وهو الموت والاحتضار، لاستقبله هذا المنزل الموحش الذي يجمع عدّة أهوال، وقد وردت الاشارة إلى بعضها في نهج البلاغة نذكرها فيما يلي:

١- وحشة القبر وضيقه وغربته:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى ضنك المضجع، ووحشة المرجع... وقد غودر في محلة الأموات رهيناً، وفي ضيق المضجع وحيداً... ثم أدرج في أكفانه مبلساً، وجذب

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٣.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٢٣.

منقاداً سلساً، ثم أُلقي على الأعواد رجيع وصب، ونضو سَقَم، تحمله حفدة الولدان، وحشدة الاخوان إلى دار غربته، ومنقطع زورته»[1].

وقال عليه السلام: «واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منّا قوة، حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً، وانزلوا الأجداث فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرفات جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيماً، ولا يبالون مندبة، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، وقريبون لا يتقاربون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة»[2].

وقال عليه السلام: «فكأنّ كل امرئ منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته، ومخط حفرته، فيا له من بيت وحدة، ومنزل وحشة، ومُفرد غربة»[3].

وقال عليه السلام: «كفى واعظاً بموتى عاينتموهم، حملوا إلى قبورهم

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٧.

غير راكبين، وانزلوا فيها غير نازلين، كأنّهم لم يكونوا للدنيا عماراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً، أوحشوا ما كانوا يوطنون، وأوطنوا ما كانوا يوحشون»[1].

وقال عليه السلام: «فمحلّها [أي القبور] مقترب، وسكانها مغترب، بين أهل محلّة موحشين، وأهل فراغ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدار»[2].

وقال عليه السلام في صفة أصحاب القبور بأنّهم لو نطقوا لقالوا: «كلحت الوجوه النواضر، وخوت الأجساد النواعم، ولبسنا أهدام البلى، وتكاءدنا ضيق المضجع، وتوارثنا الوحشة، وتهكمت علينا الربوع الصموت، فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكرت معارف صورنا، وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا، ولم نجد من كرب فرجاً، ولا من ضيق متسعاً»[3].

٢- تجسّم الأعمال وتلازمها للإنسان:

انّ الأعمال تتجسد للانسان في القبر، فيراها بصورها الحسنة أو القبيحة قال عليه السلام: «وأعلقت المرء أوهاق المنية، قائدة له إلى...

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٠.

معاينة المحل وثواب العمل... والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها، موقنة بغيب أنبائها، لاتستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيّئ زللها».

وأشار عليه السلام إلى التلازم القائم بين الانسان وبين عمله وقال عليه السلام: «ثم حملوه إلى مخطّ في الأرض، فأسلموه فيه إلى عمله»[1].

وقال عليه السلام: «قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة، والدار الباقية»[2] وقال عليه السلام: «لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً، ولا في حسن يستطيعون ازدياداً»[3].

٣ - ضغطة القبر:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون من ضيق الأرماس... واختلاف الأضلاع، واستكاك الأسماع، وظلمة اللحد، وخيفة الوعد، وغمّ الضريح، وردم الصفيح»[4].

وقال عليه السلام: «وكأنْ قد صرتم إلى ما صاروا إليه... وضمكم ذلك المستودع»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٨.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٥.

ولشدة هذا الأمر وهوله كان الإمام الباقر عليه السلام يتعوذ منه ويقول: «اللهم انّي أعوذ بك من عذاب القبر، ومن ضغطة القبر»[1].

٤- تناخر الأجسام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «قد هتكت الهوام جلدته، وأبلت النواهك جدّته، وعفت العواصف آثاره، ومحى الحدثان معالمه، وصارت الأجساد شحبة بعد بضتها، والعظام نخرة بعد قوّتها»[2].

وقال عليه السلام: «سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلّطت الأرض عليهم فيه، فأكلت من لحومهم، وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون، وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأحوال... فلو كانوا ينطقون... فقالوا: كلحت الوجوه النواضر، وخوت الأجساد النواعم، ولبسنا أهدام البلى... فانمحت محاسن أجسادنا، وتنكرت معارف صورنا... فلو مثلتهم بعقلك، أو كشفت عنهم محجوب الغطاء لك، وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت، واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت، وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها، وعاث في كل جارحة منهم جديد بلىً سمّجها وسهّل طرق الآفة إليها،

١- الكافي للكليني ٢: ٥٢٦.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

مستسلمات فلا أيدٍ تدفع، ولا قلوب تجزع، لرأيت أشجان قلوب، وأقذاء عيون، لهم في كل فظاعة صفة حال لا تنتقل، وغمرة لا تنجلي، فكم أكلت الأرض من عزيز جسد وأنيق لون، كان في الدنيا غذيّ ترف وربيب شرف، يتعلل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به، ضناً بغضارة عيشه، وشحاحة بلهوه ولعبه»[١].

وقال عليه السلام في وصف أصحاب القبور وعدم التزاور فيما بينهم مع قرب الجوار: «وكيف يكون بينهم تزاور، وقد طحنهم بكلكله البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى»[٢].

٥- المساءلة في القبر:

من الشدائد التي تواجه الانسان في القبر سؤال منكر ونكير اياه ومحاسبته، ولذا يُلقّن الميّت قبل الدفن وبعد الدفن.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «حتى إذا انصرف المشيّع، ورجع المتفجّع، أُقعد في حفرته نجيّاً لبهتة السؤال، وعثرة الامتحان»[٣].

وقد قال أبو ذر رحمه الله لما وقف على قبر ابنه: «ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك، فليت شعري ما قلت وما قيل لك»[٤].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

٤- من لا يحضره الفقيه للصدوق ١: ١٨٥ ح٥٥٨.

نسأل الله تعالى أن يعيننا في اجتياز هذا المنزل الصعب بمنّه وكرمه، ويوفقنا لأداء الفرائض والتمسك بأذيال آل محمد عليهم السلام، فقد ورد في الحديث: «إذا مات المؤمن دخل القبر معه ستة أوجه، كل واحد أجمل وأعطر وأنظف من باقي الوجوه، فتستقر الوجوه الستة في ستة مواضع عن يمينه وشماله وخلفه وقدامه والى جانب قدميه، وأحلاها وأطيبها إلى جانب رأسه، فاذا أتاه السؤال أو العذاب من كل جانب منعه وجه من الوجوه الستة، ويسأل الوجه الأجمل باقي الأوجه: من أنتم جزاكم الله منّي خيراً؟ فيقول الوجه المستقر على يمين المؤمن: أنا الصلاة، ويقول الوجه المستقر على شمال المؤمن أنا الزكاة، ويقول المواجه لوجه المؤمن: أنا الصوم، ويقول المستقر خلف المؤمن: أنا الحج، ويقول المحاذي لقدميه: أنا البر والإحسان للاخوة المؤمنين، ثم يسأله الجميع عن نفسه ومن أنت بجمالك البهي الفائق العطر؟ فيقول: أنا ولاية آل محمد عليهم السلام»[1].

ومن هذا المنزل يبدأ البرزخ حيث قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2] وقد قال الصادق عليه السلام: ولكنّي والله اتخوف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟ قال: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة[3].

أعاذنا الله وجميع المؤمنين من أهواله بمنّه وكرمه، وببركة شفاعة محمد و آل محمد عليهم السلام.

١- البحار ٧٦: ٩٧ ح٢.

٢- المؤمنون: ١٠٠.

٣- الكافي للكليني ٣: ٢٤٣.

المنزل الثالث
يـوم القيامـة

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى وَلكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْـمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّـهِ وَأَبِيـهِ * وَصاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[2].

وهذا المنزل أشد وأفظع من باقي المنازل، وفيه تعيين مصير الانسان إلى الجنة أو إلى النار، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وبالقيامة تُزلف الجنة، وتُبرز الجحيم للغاوين، وانّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامة مرقلين في مضمارها إلى الغاية القصوى، قد شخصوا من مستقر الأجداث، وصاروا إلى مصائر الغايات، لكل دار أهلها، لا يُستبدلون بها ولا يُنقلون عنها»[3].

١- الحج: ١ - ٢.

٢- عبس: ٣٤ - ٣٧.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٦.

ويحذّرنا عليه السلام ذلك اليوم قائلاً: «احذروا يوماً تُفحص فيه الأعمال، ويكثر فيه الزلزال، وتشيب فيه الأطفال... وكأنّ الصيحة قد أتتكم، والساعة قد غشيتكم، وبرزتم لفصل القضاء، قد زاحت عنكم الأباطيل، واضمحلّت عنكم العلل، واستحقت بكم الحقائق، وصدرت بكم الأمور مصادرها»[1].

وهي منزلة مهولة إذ لما ينفخ في الصور «تزهق كل مهجة، وتبكم كل لهجة، وتذلّ الشمّ الشوامخ، والصم الرواسخ، فيصير صلدها سراباً رقرقاً، ومعهدها قاعاً سملقاً، فلا شفيعٌ يشفع، ولا حميمٌ ينفع، ولا معذرةٌ تدفع»[2].

وقال عليه السلام: «انّ أمامكم عقبة كؤوداً، ومنازل مخوفة مهولة، لابدّ من الورود عليها، والوقوف عندها»[3] «إذا رجفت الراجفة، وحقّت بجلائلها القيامة، ولحق بكلّ منسك أهله، وبكل معبود عبدته، وبكل مطاع أهل طاعته»[4] «واعلم انّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة، ومشقة شديدة، وانّه لاغنى بك فيه عن حسن الارتياد، وقدر بلاغك من الزاد مع خفّة الظهر»[5].

ومن الأهوال التي يواجهها الانسان في هذا المنزل:

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٧.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٢.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

١- البعث من القبور ونفخ الصُّور:

قال تعالى: ﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْواقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّماءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ واهِيَةٌ﴾[١].

في هذه العقبة المهولة تبعثر القبور، ويخرج الانسان وتجتمع أجزاء جسمه من كل مكان، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «حتى إذا تصرمت الامور وتقضّت الدهور، وأزف النشور، أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارح المهالك سراعاً إلى أمره، معهطعين إلى معاده»[٢].

وقال عليه السلام: «حتى إذا بلغ الكتاب أجله، والأمر مقاديره، وأُلحق آخر الخلق بأوّله، وجاء من أمر الله ما يريده من تجديد خلقه، أماد السماء وفطرها، وأرجّ الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودكّ بعضها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سطوته، وأخرج مَن فيها فجددهم بعد إخلاقهم، وجمعهم بعد تفريقهم»[٣].

ولهول هذه العقبة كان يبكي منها الإمام السجاد عليه السلام ويقول: «أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري، أنظر مرّة عن يميني وأخرى عن شمالي، إذ الخلائق في شأن غير شأني، لكل

١- الحاقة: ١٣ - ١٦.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٨.

امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه، وجوه يومئذٍ مسفرة ضاحكة مستبشرة، ووجوه يومئذٍ عليها غبرة ترهقها قترة وذلة».

٢- المحاسبة:

قال الله تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[١].

وهذه العقبة أيضاً من أشد العقبات، حتى انّ أمير المؤمنين عليه السلام لما خانه أحد عماله خوّفه بيوم الحساب وكتب له: «أوما تخاف نقاش الحساب»[٢] وكتب عليه السلام إلى معاوية ينصحه: «وخذ أهْبَةَ الحساب»[٣].

وقال عليه السلام في وصف وقوف الناس للحساب: «رعيلاً صموتاً، قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر، ويُسمعهم الداعي، عليهم لبوس الاستكانة، وضرع الاستسلام والذلّة، قد ضلّت الحيل، وانقطع الأمل، وهوت الأفئدة كاظمة، وخشعت الأصوات مهينمة، وأُلجم العرق، وعظم الشفق، وأُرعدت الأسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب، ومقايضة الجزاء، ونكال العقاب، ونوال الثواب»[٤].

وقال عليه السلام: «وذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش

١- الأنبياء: ١.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤١.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ١٠.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

الحساب وجزاء الأعمال، خضوعاً قياماً قد ألجمهم العرق، ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً، ولِنَفْسِهِ متسعاً»[1].

وقال عليه السلام: «ثم ميّزهم لما يريده من مسألتهم عن خفايا الأعمال، وخبايا الأفعال، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء وانتقم من هؤلاء»[2].

ويشير عليه السلام إلى الدقة في الحساب ورعاية العدل والانصاف: «فلم يُجْز في عدله وقسطه يومئذٍ خرق بصر في الهواء، ولا همس قدم في الأرض الّا بحقه، فكم حجة يوم ذاك داحضة، وعلائق عذر منقطعة»[3].

وهذه الدقة في الحساب تشمل جميع الأمور ولا تغادر شيئاً: «انّ الله تعالى يُسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فان يعذّب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم»[4].

وقال عليه السلام: «القصاص هناك شديد، ليس هو جرحاً بالمدى، ولا ضرباً بالسياط، ولكنه ما يستصغر ذلك معه»[5].

٣- الصراط:

من العقبات المهولة والمصيرية في القيامة عقبة الصراط، وهو آخر مرحلة من مراحل القيامة حيث منه الجواز إلى الجنة أو الوقوع في النار.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠١.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٢.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٧.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

وكان من دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «واكتب لي براءة من النار، وأماناً من العذاب، وجوازاً على الصراط» ومن دعاء الإمام الصادق عليه السلام: «وسلّمني على الصراط، وأجزني عليه»[1].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في تبيين صعوبة الصراط وهوله: «واعلموا انّ مجازكم على الصراط ومزالق دحضه، وأهاويل زلله وتارات أهواله»[2].

ومن الأمور النافعة لجواز الصراط: حب أهل البيت عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أثبتكم قدماً على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي»**[3].

ومنها إسباغ الوضوء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أسبغ الوضوء تمر على الصراط مرّ السحاب»**[4].

ومنها صلة الرحم وأداء الأمانة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«حافتا الصراط يوم القيامة الأمانة والرحم، فاذا مرّ الوصول للرحم والمؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة»**[5].

ومنها صلاة أول ليلة من رجب، وصيام ستة أيام من رجب،

١- الكافي للكليني ٢: ٥٨٤.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

٣- فضائل الشيعة للصدوق: ٤٨.

٤- البحار ٧٦: ٤ ح٨.

٥- عدة الداعي لابن فهد: ٨١.

وزيارة الإمام الرضا عليه السلام حيث ورد عنه عليه السلام: «من زارني على بعد داري أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها: إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان»[1].

٤- شهود يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ * وَقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3].

وفي هذا المجال قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعلموا عباد الله انّ عليكم رصداً من أنفسكم، وعيوناً من جوارحكم، وحفّاظ صدق يحفظون أعمالكم، وعدد أنفاسكم، لا تستركم منهم ظلمة ليل داج، ولا

١- الأمالي للصدوق: ١٠٦.

٢- النور: ٢٤.

٣- فصلت: ١٩ - ٢٢.

يكنّكم منهم باب ذو رتاج»[1].

وقال عليه السلام: «أعضاؤكم شهوده، وجوارحكم جنوده، وضمائركم عيونه، وخلواتكم عيانه»[2]. ومضافاً إلى شهادة الجوارح فهناك من الملائكة الكرام ممّن يحصي علينا أعمالنا، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه، قد وكل بذلك حفظة كراماً، لا يسقطون حقاً، ولا يثبتون باطلاً»[3].

والله تعالى هو المحصي والشاهد فوق كل هؤلاء، قال عليه السلام: «أحصى آثارهم وأعمالهم، وعدد أنفاسهم، وخائنة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير، ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور، إلى أن تتناهى بهم الغايات»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٧.

٢- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٩.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٩.

المنزل الرابع
الجنـة أو النـار

هذا المنزل هو نهاية المطاف، وآخر ما يصل إليه الانسان، وهو النهاية والمقرّ الخالد، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وانّ اليوم المضمار، وغداً السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار»[1]. وقال عليه السلام: «فكفى بالجنة ثواباً ونوالاً، وكفى بالنار عقاباً ووبالاً»[2]. وقال عليه السلام: «الجنة غاية السابقين، والنار غاية المفرّطين»[3].

وقال عليه السلام: «واعلم انّ أمامك عقبة كؤوداً، المخف فيها أحسن حالاً من المثقل، والمبطئ عليها أقبح حالاً من المسرع، وانّ مهبطها بك لا محالة على جنة أو على نار»[4].

وقال عليه السلام: «ما خير بخير بعده النار، وما شر بشرّ بعده الجنة، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٧.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٧٧.

ربما يتصور الانسان انّ المسافة بينه وبين الجنة أو النار بعيدة، ولكن بعد لحاظ ما ورد من سرعة انقضاء الدنيا وحلول الموت، وبعد لحاظ قول أمير المؤمنين عليه السلام: «وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار الّا الموت أن ينزل به»[1] لرأينا انّ المسافة قليلة جداً، وسرعان ما نصبح إمّا من أصحاب النعيم أو في العذاب الأليم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الجنة: «درجات متفاضلات، ومنازل متفاوتات، لا ينقطع نعيمها، ولا يظعن مقيمها، ولا يهرم خالدها، ولا ييأس ساكنها»[2].

وقال عليه السلام: «فأما أهل الطاعة فأثابهم بجواره، وخلّدهم في داره، حيث لا يظعن النزّال، ولا تتغيّر بهم الحال، ولا تنوبهم الأفزاع، ولا تنالهم الأسقام، ولا تعرض لهم الأخطار، ولا تشخصهم الأسفار»[3].

وقال عليه السلام: «فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك منها لعزَفَتْ نفسك عن بدائع ما اخرج إلى الدنيا من شهواتها ولذاتها، وزخارف مناظرها، ولَذَهِلَتْ بالفكر في اصطفاق أشجار غيّبت عروقها في كثبان المسك على سواحل أنهارها، وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وأفنانها، وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف أكمامها، تُجنى

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٦٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٨.

من غير تكلّف فتأتي على منية مجتنيها، ويُطاف على نزّالها في أفنية قصورها بالأعسال المصفّقة والخمور المروّقة»[1].

وقال عليه السلام: «في دار اصطنعها لنفسه، ظلّها عرشه، ونورها بهجته، وزوّارها ملائكته، ورفقاؤها رسله»[2].

علماً بانّ دخول الجنة لا يكون بالتمنيات الخادعة، بل يحتاج إلى جد وجهاد وعمل دؤوب ومعرفة وطاعة للأئمة الهداة، قال عليه السلام: «لا يدخل الجنة الّا من عرفهم وعرفوه»[3]. وقال عليه السلام: «الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكية، وأعينهم باكية، وكان ليلهم في دنياهم نهاراً تخشّعاً واستغفاراً، وكان نهارهم ليلاً توحشاً وانقطاعاً، فجعل الله لهم الجنة ثواباً وكانوا أحق بها وأهلها، في ملك دائم ونعيم قائم»[4].

ومن جانب آخر نحتاج إلى ترك المحرمات والشهوات، فقد قال عليه السلام: «من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات»[5].

وقال عليه السلام في وصف النار التي هي منزل العاصين: «وأما أهل المعصية فأنزلهم شرّ دار، وغلّ الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالأقدام، وألبسهم سرابيل القطران، ومقطعات النيران، في عذاب قد

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٧.

اشتد حرّه، وباب قد أُطبق على أهله، في نار لها كلب ولجب ولهب ساطع، وقصيف هائل، لا يظعن مقيمها، ولا يُفادى أسيرها، ولا تُفصم كبُولها، لامدّة للدار فتفنى، ولا أجل للقوم فيقضى»[1].

وقال عليه السلام: «واتقوا ناراً حرّها شديد، وقعرها بعيد، حليتها حديد، وشرابها صديد»[2].

وقال عليه السلام: «واعلموا انّه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على النار، فارحموا نفوسكم فانّكم قد جربتموها في مصائب الدنيا، فرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تحرقه، فكيف إذا كان بين طابقين من نار، ضجيع حجر، وقرين شيطان، أعلمتم انّ مالكاً إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه، وإذا زجرها توثّبت بين أبوابها جزعاً من زجرته، أيها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير، كيف أنت إذا التحمت أطواق النار بعظام الأعناق، ونشبت الجوامع حتى أكلت لحوم السواعد»[3].

وقال عليه السلام: «نار شديد كلبها، عال لجبها، ساطع لهبها، متغيّظ زفيرها، متأجج سعيرها، بعيد خمودها، ذاك وقودها، مخوف وعيدها، عمّ قرارها، مظلمة أقطارها، حامية قدورها، فظيعة أمورها»[4].

وأخيراً نعوذ بالله من هذه البلية كما استعاذ منها أمير المؤمنين عليه السلام

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٩.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

وقال: «وأعظم ما هنالك بلية نـزل الحمـيم، وتـصلية الجحـيم، وفـورات السعير، وسورات الزفير، لافترة مريحة، ولادعة مزيحـة، ولاقـوة حـاجزة، ولاموتة ناجزة، ولاسنة مسلّية، بين أطوار الموتات، وعذاب الساعات، انّا لله وانّا إليه راجعون، انّا بالله عائذون»[1].

* * *

هذا ما ورد في نهج البلاغة من ذكر منازل الآخـرة، وهـي المـوت، والقبر، ويوم القيامة، والجنة أو النار، وبهذا المنزل ينتهـي سـفر الانـسان، ويبدأ مرحلة جديدة من حياته الاخروية، فاما السعادة الدائمة أو الـشقاء اللازم.

ويجدر بنا أن نذكر هنا مـا ينفـع أو يـضرّ الانـسان في هـذه المنـازل بحسب ما ورد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، لنفوز بالسعادة ولا نكون من الخاسرين، فانّ «أخسر الناس صفقة، وأخيبهم سعياً، رجل أخلق بدنه في طلب آماله، ولم تساعده المقـادير علـى ارادتـه، فخـرج مـن الدنيا بحسرته، وقدم على الآخرة بتبعته»[2].

وانّ «أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مـالاً في غـير طاعة الله، فورّثه رجـلاً فأنفقـه في طاعـة الله سـبحانه، فـدخل بـه الجنـة، ودخل الأول به النار»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١٨.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١٧.

ولا يجد الانسان مجالاً لأداء المنجيات وترك المهلكات الّا في ظرف الدنيا، إذ «بالدنيا تُحرز الآخرة»[1]. و«انّ الدنيا لم تُخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازاً لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار»[2]. «وأنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم، وقد أوذنتم منها بالارتحال، وامرتم فيها بالزاد»[3].

وكان يقول عليه السلام وينادي بأعلى صوته: «أيها الناس انّما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم»[4]. ويقول عليه السلام: «انّ الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها... ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيه أُمرنا»[5].

ويقول عليه السلام: «الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها»[6].

ولنذكر الآن ما عثرنا عليه في نهج البلاغة من ذكر المنجيات والمهلكات لتتم الفائدة.

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٠٣.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٥.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٥١.

المنجيات والمهلكات

قد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في طيات كلامه إلى انّ الله تعالى أتم الحجة علينا وبيّن لنا ما يريد وما يكره، قال عليه السلام: «واتخذ عليكم الحجة، وبيّن لكم محابّه من الأعمال ومكارهه منها، لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه، فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: انّ الجنة حفّت بالمكاره، وانّ النار حفّت بالشهوات»[1] وقال عليه السلام: «انّ الأمر واضح، والعَلَم قائم، والطريق جدد، والسبيل قصد»[2] فعلينا الأخذ بما يريد والترك لما يكره.

١- المنجيات:

قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْـحُسْنى وَزِيادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولئِكَ أَصْحابُ الْـجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾[3].

ان المنجيات في يوم القيامة كثيرة نشير إلى ما عثرنا عليه من كتاب نهج البلاغة:

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦١.

٣- يونس: ٢٦.

١- العمل الصالح:

انّ العمل يلازم الانسان في الآخرة وهو الذي يحدد المسار، قال عليه السلام: «قد ظعنوا عنها [أي الدنيا] بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية»[١] وقال عليه السلام: «أعمال العباد في عاجلهم نُصب أعينهم في آجلهم»[٢].

والمهم في مجال العمل أن يكون مما ينفع في الآخرة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والناظر بالقلب، العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله عليه أم له، فان كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنده»[٣].

وقال عليه السلام: «من شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظلمات، وارتبك في الهلكات، ومدّت به شياطينه في طغيانه، وزيّنت له سيّء أعماله»[٤].

وينهانا عليه السلام أن نرجو الآخرة بغير العمل، حيث انّ: «العمل الصالح حرث الآخرة»[٥] ولذا يقول عليه السلام: «لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل... يحب الصالحين ولا يعمل عملهم»[٦]. وذلك لانّ «المرء مجزيّ بما سلّف وقادم على ما قدّم»[٧] و«ما قدّمت اليوم تقدم عليه غداً»[٨].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٠.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٧.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٤٠.

٧- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢١.

٨- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٣.

وهو عليه السلام كان دوماً يأمر بالمبادرة والاسراع في الأعمال الصالحة، حيث يقول: «وسابقوا فيها إلى الدار التي دعيتم إليها»[1].

ويقول عليه السلام: «واتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم»[2].

ويترحم على المبادر قائلاً: «رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى... قدم خالصاً، وعمل صالحاً... بادر الأجل، وتزود من العمل»[3].

ويقول عليه السلام: «وبادروا آجالكم بأعمالكم، فانّكم مرتهنون بما أسلفتم، ومدينون بما سلّفتم»[4].

ويقول عليه السلام: «وبادروا بالأعمال عمراً ناكساً، أو مرضاً حابساً، أو موتاً خالساً»[5].

وينبهنا عليه السلام انّ استقراب الأجل خير وسيلة للاهتمام بالعمل، إذ انّ المتّقين «استقربوا الأجل فبادروا العمل»[6].

ويذكّرنا عليه السلام بانّ ظرف الدنيا هو ساحة العمل، ولا مجال للانسان من العمل في غيره حيث «انّ اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل»[7]. وفرصة العمل منحصرة في الدنيا لا غير، ويحذرنا

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧٥ .

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٠.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٧- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٤٢.

من فوت الفرصة، لذا يؤكد ويقول: «فليعمل العامل منكم في أيام مهله قبل ارهاق أجله، وفي فراغه قبل أوان شغله، وفي متنفّسه قبل أن يؤخذ بكظمه، وليمهّد لنفسه وقدمه، وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته»[١].

ويقول عليه السلام: «عباد الله الآن فاعملوا، والألسن مطلقة، والأبدان صحيحة، والأعظاء لدنة، والمنقلب فسيح، والمجال عريض»[٢].

ويقول عليه السلام: «فاعملوا وأنتم في نفس البقاء، والصحف منشورة، والتوبة مبسوطة، والمدبر يُدعى، والمسيء يُرجى، قبل أن يخمد العمل، وينقطع المهل، وتنقضي المدة، وتسدّ أبواب التوبة، وتصعد الملائكة»[٣].

ويكرر عليه السلام نفس المضمون ويقول: «اعملوا رحمكم الله على أعلام بينة، فالطريق نهج يدعو إلى دار السلام، وأنتم في دار مستعتب على مهل وفراغ، والصحف منشورة، والأقلام جارية، والأبدان صحيحة، والألسن مطلقة، والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة»[٤].

كما انه عليه السلام يتعجب من غفلة الانسان وتقصيره في العمل ويقول: «ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه، ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبيّن ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عمّا زوي منها عنكم، كأنها دار مقامكم وكأنّ متاعها باق عليكم»[٥].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥.
٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٦.
٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٨.
٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٣.
٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٢.

ولذا ينبهنا ويقول عليه السلام: «واعلموا انّ ما نقص من الدنيا وزاد في الآخرة خير ممّا نقص من الآخرة وزاد في الدنيا، فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر»[1].

ويعطينا عليه السلام مؤشرات لتمييز العمل الصالح من جهة، وتقييمه من جهة أخرى، فيقول عليه السلام: «أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه»[2] وقال عليه السلام في وصف أخ له فيما مضى: «وكان إذا بدهه أمران نظر أيّهما أقرب إلى الهوى فخالفه»[3]. ويقول عليه السلام: «واعلموا انّه ما من طاعة الله شيء الّا يأتي في كره، وما من معصية الله شيء الّا يأتي في شهوة، فرحم الله رجلاً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه، فانّ هذه النفس أبعد شيء منزعاً، وانّها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى»[4].

ويقول عليه السلام: «الناظر بالقلب، العامل بالبصر، يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله عليه أم له، فان كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنده، فانّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح الّا بعداً من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع»[5].

وفي مجال تقييم العمل ينبهنا عليه السلام تارة بعدم استصغار العمل

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١١٣.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٤٠.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٨٠.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٤.

الصالح والتهاون به مهما كان حجمه ويقول: «وافعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً، فانّ صغيره كبير وقليله كثير»[1].

وتارة اخرى يأمر بعدم الطمأنينة إلى العمل وعدم استكثاره حيث يقول عليه السلام في صفة المتقين: «لا يرضون من أعمالهم القليل ... يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل»[2]. ولا يستكثرونها إذ يعلمون انّ أعمالهم مهما بلغت لا تجازي نعم الله، ولذا يحلف أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: «فوالله لو حننتم حنين الوُلّه العجال، ودعوتم بهديل الحمام، وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان، وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد، التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيئة أحصتها كتبه، وحفظها رسله، لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه، وأخاف عليكم من عقابه، تالله لو انماثت قلوبكم انمياثاً، وسالت عيونكم من رغبة إليه ورهبة منه دماً، ثم عمّرتم في الدنيا ما الدنيا باقية، ما جزت أعمالكم – ولو لم تُبقوا شيئاً من جهدكم – أنعمه عليكم العظام، وهداه اياكم للايمان»[3].

وليعلم انه كلما ازدادت المعرفة بالله تعالى لاستحقر الانسان أعماله، يقول عليه السلام في وصف الملائكة: «وانهم على مكانهم منك... وكثرة طاعتهم لك، وقلة غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقّروا أعمالهم، ولزروا على أنفسهم، ولعرفوا انّهم لم

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤١٠.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٩٣.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٥٢.

يعبدوك حق عبادتك، ولم يطيعوك حق طاعتك»[1].

ولا منافاة بين الاشتغال بالأعمال الصالحة، وبين الانشغال بالكسب والعيش، إذ أولاً: «لا تجارة كالعمل الصالح»[2]. وثانياً: «من عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس»[3]. وثالثاً: «قد تكفل لكم بالرزق وامرتم بالعمل فلا يكوننّ المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله، مع انه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين، حتى كأنّ الذي ضُمن لكم قد فُرض عليكم، وكأنّ الذي فُرض عليكم قد وُضع عنكم»[4]، فلا داعي للتقصير في العمل بحجة التكسّب بل لكل منهما شأن مضافاً إلى كفالة الله تعالى.

وختاماً يجمع هذا كله قوله عليه السلام: «فالله الله معشر العباد، وأنتم سالمون في الصحة قبل السقم، وفي الفسحة قبل الضيق، فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل أن تغلق رهائنها، وأسهروا عيونكم، وأضمروا بطونكم، واستعملوا أقدامكم، وأنفقوا أموالكم، وخذوا من أجسادكم تجودوا بها على أنفسكم، ولا تبخلو بها عنها فقد قال الله سبحانه: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾[5]... فبادروا بأعمالكم تكونوا مع

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٠٨.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٠٧.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤١١.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٥- محمد: ٧.

جيران الله في داره، رافق بهم رسله، وأزارهم ملائكته، وأكرم أسماعهم أن تسمع حسيس نار أبداً، وصان أجسادهم أن تلقى لغوباً ونصباً»[1].

٢- الشهادتان:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ونشهد أن لا إله الله، وحده لا شريك له، وانّ محمّداً عبده ورسوله، شهادتين تصعدان القول، وترفعان العمل، لا يَخفّ ميزان توضعان فيه، ولا يثقل ميزان تُرفعان منه»[2].

٣- طاعة الله تعالى:

انّ طاعة الله تعالى هي حق الله على العباد، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «ولكنّه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه، وتوسعاً بما هو من المزيد أهله»[3].

وهي أيضاً الأساس في النجاة والفوز والسعادة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يُخدع الله عن جنته، ولا تنال مرضاته الّا بطاعته»[4].

وقال عليه السلام: «اوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، فانّها النجاة غداً، والمنجاة أبداً»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٣.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٦.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٩.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦١.

وكتب عليه السلام إلى الحارث الهمداني رحمه الله: «واطع الله في جمل أمورك، فانّ طاعة الله فاضلة على ما سواها»[1].

وقال عليه السلام: «انّ الله سبحانه وضع الثواب على طاعته، والعقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم إلى جنته»[2].

وقال عليه السلام: «احذر أن يراك الله عند معصيته، ويفقدك عند طاعته، فتكون من الخاسرين، وإذا قويت فاقو على طاعة الله، وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله»[3].

وقال عليه السلام: «فاجعلوا طاعة الله شعاراً دون دثاركم، ودخيلاً دون شعاركم، ولطيفاً بين أضلاعكم، وأميراً فوق أموركم، ومنهلاً لحين وردكم، وشفيعاً لدرك طلبتكم، وجُنة ليوم فزعكم، ومصابيح لبطون قبوركم، وسكناً لطول وحشتكم، ونفساً لكرب مواطنكم، فانّ طاعة الله حرز من متالف مكتنفة، ومخاوف متوقعة، وأوار نيران موقدة»[4].

والله تعالى قد بيّن الحجة ولم يبق لأحد عذراً إذ انّ «للطاعة أعلاماً واضحة، وسبلاً نيّرة ومحجةً نهجةً، وغايةً مطلبةً، يردها الاكياس ويخالفها الأنكاس، من نكب عنها جار عن الحق وخبط في التيه وغيّر الله نعمته وأحلّ به نقمته»[5].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٦٩.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٥٨.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٧٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٨.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣٠.

وقـال عليه السلام : «واسـتتمّوا نعـم الله علـيكم بالـصبر علـى طاعتـه، والمجانبة لمعصيته»[1].

وأخـيراً انّ الله تعـالى يـساعد العبـاد علـى الطاعـة، قـال أمـير المـؤمنين عليه السلام : «وانّ لكـم عنـد كـل طاعـة عونـاً مـن الله، يقـول علـى الألسنة، ويثبّت الأفئدة، فيه كفاء لمكتف، وشفاء لمشتف»[2].

طبعاً مع الاذعان بالتقصير وعدم التمكن مـن أداء حـق الطاعـة، قال عليه السلام : «فليس أحد – وإن اشتد على رضـى الله حرصـه، وطـال في العمل اجتهاده – ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له»[3].

٤ – التمسك بالثقلين:

وهما القرآن والعترة، كمـا ورد في الحـديث المتـواتر: «انّـي تـارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحـدهما أعظـم مـن الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

ألف: القرآن:

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «واعلموا انه ليس على أحد بعـد القـرآن من فاقة، ولا لأحـد قبـل القـرآن مـن غنـى، فاستـشفوه مـن أدوائكـم،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٨.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٤.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢١٦.

واستعينوا به على لأوائكم، فانّ فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق، والغيّ والضلال، فاسألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، انّه ما توجّه العباد إلى الله بمثله، واعلموا انّه شافع مشفّع، وقائل مصدّق، وانّه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه، ومن مَحَلَ به القرآن يوم القيامة صُدّق عليه، فانّه ينادي مناد يوم القيامة: ألا انّ كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه... وانّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فانّه حبل الله المتين، وسببه الأمين، وفيه ربيع القلب، وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره»[1].

ويشير عليه السلام إلى حتمية دخول الجنة لقارئ القرآن الّا أن يكون منافقاً يستهزئ بالقرآن، قال عليه السلام: «من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً»[2].

ب: العترة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فان لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢١٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٩٦.

وقال عليه السلام: «وانّما الأئمة قوّام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة الاّ من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار الّا من أنكرهم وأنكروه»[1].

ويقول عليه السلام عن نفسه وهو سيد العترة: «فان أطعتموني فانّي حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنة، وإن كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة»[2].

وقال عليه السلام: «انّما مثلي بينكم مثل السراج في الظلمة، يستضيء به من ولجها، فاسمعوا أيها الناس وعوا، وأحضروا آذان قلوبكم تفهموا»[3].

ويشير عليه السلام إلى انّ التمسك بالعترة لا ينفع لوحده، ومن دون طاعة الله والالتزام بالواجبات وترك المحرمات إذ: «انّ ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لُحمته، وانّ عدوّ محمد من عصى الله وإن قربت قرابته»[4].

فهكذا انسان - أي المتمسك بالقرآن والعترة وأوامر الله تعالى - إن مات مات شهيداً وإن لم يقتل، قال عليه السلام: «فانّه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه عزوجل، وحق رسوله وأهل بيته، مات

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٧.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٩٠.

شهيداً ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام اصلاته لسيفه»[1].

٥ – التقوى:

انّ التقوى من الأمور النافعة جداً في الدنيا والآخرة، فانّها في الدنيا راحة وطمئنينة وسكينة ونجاة من البلايا، وفي الآخرة النجاة والفوز برضى الرحمن، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «التقى رئيس الأخلاق»[2]. وقال عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، فانّها النجاة غداً والمنجاة أبداً»[3].

والتقوى لابد وأن تكون في جميع الأمور، فيما يتعلق بالرب، وما يتعلق بالناس، وما يتعلق بالطبيعة، كل بحسبه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اتقوا الله في عباده وبلاده، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»[4] هذا هو قمة الكمال، لكن مع هذا لابد أن لا ييأس الانسان ويقول انّي لا أتمكن، لانّ أمير المؤمنين عليه السلام يعلمنا ويقول لنا: «اتق الله بعض التقى وإن قلّ، واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رق»[5].

---

١ - نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٠.

٢ المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٩٩.

٣ المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦١.

٤ المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٧.

المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٣٣.

وذلك لانّه «لا يقلّ عمل مع التقوى، وكيف يقلّ ما يتقبل»[1].

والتقوى من النعم العظيمة والمجهولة، فانّها أفضل من النعم الظاهرية، يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «انّ من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب»[2]. لذا نرى الأولياء يعظمون موت القلوب أكثر من موت الأجساد، قال عليه السلام: «يرون أهل الدنيا يعظمون موت أجسادهم، وهم أشد اعظاماً لموت قلوب أحيائهم»[3].

وهي خير زاد إلى معاد، ولما مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بالقبور التي كانت بظهر الكوفة وناداهم وتكلّم معهم، ثم قال: هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال: «أما لو أُذن لهم في الكلام لأخبروكم انّ خير الزاد التقوى »[4].

ومن كلامه عليه السلام الجامع في التقوى قوله: «فاتقوا الله تقية من سمع فخشع، واقترف فاعترف، ووجل فعمل، وحاذر فبادر، وأيقن فأحسن، وعُبّر فاعتبر، وحُذّر فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى، وأُري فرأى، فأسرع طالباً، ونجا هارباً، فأفاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وعمّر معاداً، واستظهر زاداً ليوم رحيله وجه سبيله... فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكّر قلبه، وأنصب الخوف بدنه، وأسهر

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨٩.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٧٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٢٣.

التهجّد غرار نومه، وأظمأ الرجاء هواجر يومه، وظلف الزهد شهواته، وأوجف الذكر لسانه، وقدّم الخوف لأمانه، وتنكّب المخالج عن وضح السبيل، وسلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب، ولم تفتله فاتلات الغرور، ولم تَعْمَ عليه مشتبهات الأمور، ظافراً بفرحة البشرى، وراحة النعمى، في أنعم نومه وآمن يومه»[1].

وقوله عليه السلام: «اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ، زاد مُبلغ، ومعاذ منجح، دعا اليها أسمع داع، ووعاها خير واع، فأسمع داعيها وفاز واعيها، عباد الله انّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب، والريّ بالظمأ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا الأمل فلاحظوا الأجل»[2].

وقوله عليه السلام: «واعلموا عباد الله انّ التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل... ألا وبالتقوى تقطع حُمَة الخطايا»[3].

وقوله عليه السلام: «وأوصاكم بالتقوى، وجعلها منتهى رضاه، وحاجته من خلقه، فاتقوا الله الذي أنتم بعينه ونواصيكم بيده، وتقلبكم في قبضته، إن أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه، قد وكل بذلك حفظة كراماً لا يسقطون حقاً، ولا يثبتون باطلاً، واعلموا انّه من يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلم، ويخلّده فيما اشتهت نفسه، وينزله

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥٧.

منزلة الكرامة عنده»[1].

وقوله عليه السلام: «اوصيكم عباد الله بتقوى الله، فانها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم، وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله، فانّ التقوى في اليوم الحرز والجُنّة وفي غدِ الطريق إلى الجنة، مسلكها واضح، وسالكها رابح، ومستودعها حافظ، لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين والغابرين لحاجتهم اليها غداً، إذا أعاد الله ما أبدى، وأخذ ما أعطى، وسأل عمّا أسدى، فما أقلّ من قبلها وحملها حق حملها، اولئك الأقلّون عدداً، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾[2] فأهطعوا بأسماعكم إليها، وأكظّوا بجدّكم عليها، واعتاضوها من كل سلف خلفاً، ومن كل مخالف موافقاً، أيقظوا بها نومكم، واقطعوا بها يومكم، وأشعروها قلوبكم، وارحضوا بها ذنوبكم، وداووا بها الأسقام، وبادروا بها الحمام، واعتبروا بمن اضاعها، ولا يعتبرنّ بكم من أطاعها، ألا وصونوها وتصوّنوا بها»[3].

وقوله عليه السلام: «اوصيكم عباد الله بتقوى الله، فانّها الزمام والقوام، فتمسكوا بوثائقها، واعتصموا بحقائقها، تَؤُلْ بكم إلى أكنان الدعة، وأوطان السعة، ومعاقل الحرز، ومنازل العزّ في يوم تشخص فيه

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٣.

٢- سبأ: ١٣.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩١.

الأبصار، وتُظلم له الأقطار، وتُعطّل فيه صروم العشار»[1].

وقوله عليه السلام: «انّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم... فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد أنصابها، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها، وتحدّبت عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجّرت عليه النعم بعد نضوبها، ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها»[2].

وقوله عليه السلام: «انّ تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجو الهارب، وتنال الرغائب»[3].

وأخيراً: «انّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكنت، وأكلوها بأفضل ما أُكلت، فحظوا من الدنيا بما حَظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلّغ، والمتجر الرابح، أصابوا لذّة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقّنوا انّهم جيران الله غداً في آخرتهم، ولا تُردّ لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٨.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٧.

٦- التوبة:

صحيح انّ «ترك الذنب أهون من طلب التوبة»[١] ولكن قلّ من لا يتلوّث بدنس الذنوب والمعاصي طيلة حياته، لذا فتح الله تعالى لنا باب التوبة والاستغفار، وضمن على نفسه القبول، فقال تعالى: ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أُعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أُعطي الاستغفار لم يُحرم المغفرة»[٣]. وبنفس المضمون قال عليه السلام: «ما كان الله ... ليفتح على عبد باب التوبة ويُغلق عنه باب المغفرة»[٤].

والاستغفار مضافاً إلى انّه سبب للمغفرة، كذلك سبب لزيادة الرزق، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق، فقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً﴾[٥] فرحم الله امرأً استقبل توبته، واستقال خطيئته، وبادر منيته»[٦].

وكان عليه السلام ينادي بأعلى صوته ويقول: «أفلا تائب من خطيئته

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٦٠.

٢- الزمر: ٥٣.

٣- نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٢٨.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٥٥٨.

٥- نوح: ١٠ - ١١.

٦- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٤٣.

قبل منيته، ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه»[1].

ويشير عليه السلام إلى انّ التوبة من أفضل الأعمال في الدنيا قائلاً: «لا خير في الدنيا الّا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات»[2].

وأخيراً انّ التوبة ليست لقلقة لسان فحسب، بل لها ضوابط وشروط، لانّ «المستغفر من ذنب وهو يفعله كالمستهزء بربه» كما قال الإمام الرضا عليه السلام[3]. لذا نرى أمير المؤمنين عليه السلام ذكر ضابطة الاستغفار والتوبة لرجل سمعه بحضرته يستغفر، فقال له:

«ثكلتك امك، أتدري ما الاستغفار؟ انّ الاستغفار درجة العلّيّين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عزوجل أملس ليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقّها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، حتى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول أستغفر الله»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٨.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٨٩

٣- عدة الداعي لابن فهد: ٢٥٠.

٤- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤٠٥.

٧ الاخلاص:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[١] والعمل الصالح هو العمل الخالص-كما في مجمع البيان-[٢].

الاخلاص هو قوام العمل وبدونه يفقد العمل محتواه ويصير وبالاً على الانسان، وأمير المؤمنين عليه السلام كما يحثّنا على العمل، يحثّنا على الاخلاص أيضاً حيث يقول: «اعملوا في غير رياء ولا سمعة، فانّه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له»[٣].

والإمام عليه السلام اقتبس كلامه هذا من قوله تعالى: ﴿فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللهِ وَما كانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ﴾[٤] وذلك لانّ الله تعالى يقول: أنا خير شريك، فمن عمل لي ولغيري فهو لمن عمله غيري، كما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام[٥].

وكان مما أوصى ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «وأخلص في المسألة لربك فانّ بيده العطاء والحرمان»[٦].

١- الكهف: ١١٠.

٢- مجمع البيان للطبرسي ٦: ٣٩٦.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٣.

٤- الأنعام: ١٣٦.

٥- المحاسن للبرقي ١: ٢٥٢ ح٢٧١.

٦- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣١.

٨- النيّة الحسنة:

انّ الانسان ربما تفوته كثير من الصالحات لفوت زمانها أو لأيّ سبب آخر، فهنا تأتي النية لتحلّ محلّ العمل، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه عزوجل وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام اصلاته لسيفه»[1].

وقال عليه السلام أيضاً: «انّ الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة»[2].

وقد قال له بعض أصحابه: «وددت انّ أخي فلاناً كان شاهداً ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال له عليه السلام: «أهوى أخيك معنا؟ قال: نعم، قال: فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال، وأرحام النساء، سيرعف بهم الزمان، ويقوى بهم الايمان»[3].

ولذا كان عليه السلام يؤكد على هذا الجانب ويدعو ويقول: «جعلنا الله واياكم ممن يسعى بقلبه إلى منازل الأبرار برحمته»[4] فقدّم عليه السلام السعي القلبي ودعا الله تعالى أن يجعله من هذا الصنف، وذلك لانّ العمل لاقيمة له لو جرّد عن النية الصالحة التي تدعمه وتسنده، ويؤيّده

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٠.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٨.

٣- المصدر نفسه، خطبة رقم: ١٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٠.

قوله عليه السلام: «وبما في الصدور تجازى العباد»[1].

٩- جهاد النفس:

وهو من أبرز صفات الأولياء، وله مصاديق متعددة أشار إلى جملة منها أمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في نهج البلاغة، وهي كما يلي:

ألف – محاسبة النفس:

انّ من الأمور النافعة في مجال تهذيب النفس، والتدرج في مدارج الكمال، محاسبة النفس حتى انّه ورد عن الامام الكاظم عليه السلام انّه قال: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فان عمل حسناً استزاد منه، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه»[2].

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أهل الذكر: «فلو مثّلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة، ومجالسهم المشهودة، وقد نشروا دواوين أعمالهم، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم، وعلى كل صغيرة وكبيرة امروا بها فقصّروا عنها، أو نهوا عنها ففرّطوا فيها، وحمّلوا ثقل أوزارهم ظهورهم، فضعفوا عن الاستقلال بها، فنشجوا نشيجاً، وتجاوبوا نحيباً، يعجّون إلى ربهم من مقام ندم واعتراف، لرأيت أعلام هدى، ومصابيح دجى، قد حفّت بهم الملائكة، وتنزلت عليهم السكينة، وفُتحت لهم أبواب السماء، واعدّت لهم مقاعد الكرامات في مقعد اطلع الله عليهم

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٧٤.

٢- تحف العقول للحراني: ٣٩٦.

فيه، فرضي سعيهم، وحمد مقامهم، يتسنمون بدعائه روح التجاوز رهائن فاقة إلى فضله، وأسارى ذلة لعظمته، جرح طول الأسى قلوبهم، وطول البكاء عيونهم، لكل باب رغبة إلى الله سبحانه منهم يد قارعة، يسألون من لا تضيق لديه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون، فحاسب نفسك لنفسك، فانّ غيرها من الأنفس لها حسيبٌ غيرك»[1].

وقال عليه السلام: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر»[2].

ب – منع النفس عن المشتهيات:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين: «إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب»[3].

وقال عليه السلام يصف جهاد نفسه الطاهرة قائلاً: «وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله عزوجل، لأروضنّ نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً»[4].

وقال عليه السلام لبعض أصحابه: «واعلم انّك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة مكروهه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً»[5].

١– نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢١.

٢– المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٩٨.

٣– المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٣.

٤– المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

٥– المصدر نفسه، قصار الحكم: ٥٦.

وقال عليه السلام: «ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة»[1].

وقال عليه السلام: «فرحم الله رجلاً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه فانّ هذه النفس أبعد شيء منزعاً، وانّها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى»[2].

وقال عليه السلام في صفة أهل الآخرة: «قد ألزم نفسه على العدل، فكان أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه»[3].

ج – ترك المعاصي وفعل الواجبات:

قال عليه السلام: «امرءٌ ألجم نفسه بلجامها، وزمها بزمامها، فأمسكها بلجامها عن معاصي الله، وقادها بزمامها إلى طاعة الله»[4].

وكتب عليه السلام في عهده لمالك الأشتر رحمه الله: «وأمره أن يكسر نفسه عند الشهوات، ويزعها عند الجمحات، فانّ النفس أمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربي... وشُحّ بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فانّ الشحّ بالنفس الانصاف منها فيما أحبت وكرهت»[5].

وقال عليه السلام: «فمن شغل نفسه بغير نفسه تحيّر في الظلمات،

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٧٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٦ .

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٣٨.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

وارتبك في الهلكات، ومدّت به شياطينه في طغيانه، وزينت له سيّء أعماله»[1].

وقال عليه السلام في وصف المتقين: «أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه»[2].

د – ترويض النفس وتأديبها:

قال عليه السلام: «وانّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق»[3].

وقال عليه السلام: «أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها»[4].

وقال عليه السلام: «ومعلم نفسه ومؤدّبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[5].

هـ – اتهام النفس:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلموا عباد الله انّ المؤمن لا يصبح

١– نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٧.

٢– المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٣.

٣– المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

٤– المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٤٩.

٥– المصدر نفسه، قصار الحكم: ٦٨.

ولا يمسي الّا ونفسه ظنون عنده، فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً لها»[1].

وقال عليه السلام في وصف المتقين: «فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكّي أحد منهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم منّي بنفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنون، واغفرلي ما لا يعلمون»[2].

وقال عليه السلام: «ولا يلم لائم الّا نفسه»[3].

١٠- التفكّر:

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه»[4].

وقال عليه السلام: «ولو فكروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلة، والأبصار مدخولة»[5].

وقال عليه السلام: «فلينتفع امرؤ بنفسه، فانّما البصير من سمع فتفكر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر، ثم سلك جدداً واضحاً يتجنب فيه الصرعة في المهاوي، والضلال في المغاوي،... فأفق أيها السامع من سكرتك...

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.
٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٣.
٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦.
٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢
٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٥.

وأنعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله مّما لابدّ منه ولا محيص عنه»[1].

وقال عليه السلام: «لا علم كالتفكر»[2].

١١ – أداء الفرائض:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الفرائض الفرائض، أدّوها إلى الله تؤدّكم إلى الجنة»[3].

وقال عليه السلام: «طوبى لنفس أدّت إلى ربها فرضها»[4].

وقال عليه السلام في عهده للأشتر: «أمره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد الّا باتباعها، ولا يشقى الّا مع جحودها واضاعتها»[5].

وقال عليه السلام: «وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات، والزكوات، ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات، تسكيناً لأطرافهم، وتخشيعاً لأبصارهم، وتذليلاً لنفوسهم، وتخفيضاً لقلوبهم، وإذهاباً للخيلاء عنهم، لما في ذلك من تعفير عتائق الوجوه بالتراب تواضعاً، والتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغراً، ولحوق البطون بالمتون من

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥٣.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٠٧.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٧.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

الصيام تذللاً، مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض وغير ذلك إلى أهل المسكنة والفقر، أنظروا إلى ما في هذه الأفعال من قمع نواجم الفخر وقدع طوالع الكبر»[1].

ومن هذه الفرائض الصلاة، ولأهميتها ومحوريّتها لسائر الأعمال قال عليه السلام: «واعلم انّ كل شيء من عملك تبع لصلاتك»[2].

وقال عليه السلام: «تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها، فانّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا: ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[3] وانّها لتحتّ الذنوب حت الورق، وتطلقها اطلاق الربق، وشبّهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمّة تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن... وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها﴾[4] فكان يأمر بها أهله ويُصبر عليها نفسه»[5].

ومنها الزكاة، فقد قال عليه السلام: «ثم انّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الاسلام، فمن أعطاها طيّب النفس بها، فانّها تجعل له

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٧.

٣- المدثر: ٤٢ – ٤٣.

٤- طه: ١٣٢.

٥- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٩.

كفارة، ومن النار حجازاً ووقاية»[1].

ومنها الجهاد، قال عليه السلام: «أما بعد فانّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجُنته الواقية»[2].

وقال عليه السلام: «الجنة تحت أطراف العوالي»[3].

ومنها الصوم، قال عليه السلام: «انّ أفضل ما توسل به المتوسل إلى الله سبحانه... صوم شهر رمضان فانّه جنة من العقاب»[4].

ومنها الحج، قال عليه السلام: «وفرض عليكم حج بيته الحرام... جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزّته واختار من خلقه سمّاعاً أجابوا إليه دعوته، وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يُحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته»[5].

وقال عليه السلام: «انّ أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله... حج البيت واعتماره، فانّهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب»[6]. وقال عليه السلام أيضاً في الحج: «جعله الله تعالى سبباً لرحمته ووصلة إلى جنته»[7].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٩.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٧.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٤.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٩.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٩.

٧- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عليه السلام: «ما أعمال البرّ كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الّا كنفثة في بحر لجيّ»[1].

وقال عليه السلام: «انّ أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم، ثم بألسنتكم، ثم بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً، ولم ينكر منكراً، قلب فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه»[2].

ومنها الصدقة، قال عليه السلام: «انّ أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله... صدقة السرّ فانّها تكفّر الخطيئة، وصدقة العلانية فانّها تدفع ميتة السوء»[3].

١٢- الصمت وحفظ اللسان:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وليختزن الرجل لسانه، فانّ هذا اللسان جموح بصاحبه، والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يختزن لسانه، وانّ لسان المؤمن من وراء قلبه، وانّ قلب المنافق من وراء لسانه، لانّ المؤمن إذا أراد أن يتكلّم بكلام تدبره في نفسه، فان كان خيراً أبداه، وإن كان شراً واراه، وانّ المنافق يتكلم بما أتى على لسانه لا يدري ماذا له وماذا عليه، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يستقيم ايمان عبد حتى

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٦٤.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦٥.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٠٩.

يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»[1].

وقال لابنه الإمام الحسن عليه السلام: «وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك»[2].

وقال عليه السلام: «الكلام في وثاقك ما لم تتكلّم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرب كلمة سلبت نعمة»[3].

وقال عليه السلام: «من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار... ومن علم انّ كلامه من عمله قلّ كلامه الّا فيما يعنيه»[4].

ومما ينبغي التحرز منه الاسراع في تقييم الناس بسبب زلاتهم، والحكم عليهم بالانحراف والزلل، قال عليه السلام: «ياعبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له، وتأمن على نفسك صغير معصية فلعلّك معذّب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته ممّا ابتلي به غيره»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٦.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٧١.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٣٩.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٠.

١٣- الذكر:

انّ مما أوصى به أمير المؤمنين ابنه الحسن عليهما السلام أن يعمر قلبه بذكر الله تعالى، فقال له: «فانّي اوصيك بتقوى الله... وعمارة قلبك بذكره»[١].

وقال عليه السلام عند تلاوة قوله تعالى: ﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[٢] فقال: «انّ الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة... وانّ للذكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه، يقطعون به أيام الحياة، ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين، ويأمرون بالقسط ويأتمرون به، وينهون عن المنكر ويتناهون عنه، فكأنّما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك فكأنّما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الاقامة فيه، وحققت القيامة عليهم عداتها، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، حتى كأنّهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون»[٣].

١٤- نبذ الدنيا:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فلتكن الدنيا أصغر في أعينكم من حثالة القرض وقراضة الجلم، واتعظوا من كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣١.

٢- النور: ٣٧.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢١.

بعدكم، وارفضوها ذميمة، فانّها قد رفضت من كان أشغف بها منكم»[1].

وقال عليه السلام: «فأعرضوا عمّا يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها، أقرب دار من سخط الله، وأبعدها من رضوان الله، فغضوا عنكم عباد الله غمومها وأشغالها، لما قد أيقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها»[2].

وقال عليه السلام: «انّ السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم»[3].

وأخيراً يشير عليه السلام إلى لزوم التأسي بالنبي صلى الله عليه وآله في تركه للدنيا، حيث يقول: «فتأس بنبيك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله، فانّ فيه اسوة لمن تأسّى، وعزاء لمن تعزّى، وأحب العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه والمقتص لأثره، قضم الدنيا قضماً ولم يعرها طرفاً... ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: «يا فلانة – لاحدى أزواجه – غيّبيه عنّي فانّي إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها» فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيبها عن البصر. وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه وأن يُذكر عنده»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٣٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦١.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٢.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦٠.

٢- المهلكات:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١].

قد استعرضنا فيما مضى مجموعة من الأعمال المنجية في يوم القيامة مما ورد ذكرها في نهج البلاغة وربما فاتنا غيرها، أما الآن فلنذكر المهلكات لنحترز منها، وهي كما يلي:

١- متابعة الشيطان:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً﴾[٣].

إلى غيرها من الآيات الكريمة المحذّرة من متابعة الشيطان وجنوده، والمذكّرة بخدعه ومكره.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في التحذير منه: «فاحذروا عدوّ الله أن يُعديكم بدائه، وأن يستفزكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد، وأغرق لكم بالنزع الشديد، ورماكم من مكان

١- النمل: ٩٠.

٢- يس: ٦٠.

٣- النساء: ١١٩.

قريب، وقال رب بما أغويتني لأزيننّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين، قذفاً بغيب بعيد، ورجماً بظن غير مصيب، صدّقه به أبناء الحمية، واخوان العصبيّة، وفرسان الكبر والجاهلية، حتى إذا انقادت له الجامحة منكم، واستحكمت الطماعية منه فيكم، فنجمت الحال من السرّ الخفيّ إلى الأمر الجليّ، استفحل سلطانه عليكم، ودلف بجنوده نحوكم، فأقحموكم ولجات الذلّ، وأحلّوكم ورطات القتل، وأوطأوكم أثخان الجراحة، طعناً في عيونكم، وحزّاً في حلوقكم، ودقّاً لمناخركم، وقصداً لمقاتلكم، وسوقاً بخزائم القهر إلى النار المعدة لكم، فأصبح أعظم في دينكم جرحاً، وأورى في دنياكم قدحاً، من الذين أصبحتم لهم مناصبين وعليهم متألبين، فاجعلوا عليه حدّكم، وله جدّكم، فلعمر الله لقد فخر على أصلكم، ووقع في حسبكم، ودفع في نسبكم، وأجلب بخيله عليكم، وقصدَ برَجِلِهِ سبيلكم، يقتنصونكم بكل مكان، ويضربون منكم كل بنان، لا تمتنعون بحيلة، ولا تدفعون بعزيمة»[1].

وليعلم انّ الشيطان يستخدم سبلاً وطرقاً مختلفة للاغواء، يشير الإمام عليه السلام إلى بعضها قائلاً: «انّ الشيطان يسنّي [أي يسهّل] لكم طرقه ويريد أن يحلّ دينكم عقدة عقدة... فأصدعوا عن نزغاته ونفثاته»[2]. وقال عليه السلام: «واعلموا انّ الشيطان انّما يسنّي لكم طرقه لتتبعوا عقبه»[3].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٢٠.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٣٨.

ومن مواقع حضوره التي يجب التجنب عنها: مجالسة أهل الهوى، قال أمير المؤمنين عليه السلام : «ومجالسة أهل الهوى منساة للإيمان ومحضرة للشيطان»[1].

ومنها الكبر والحمية والعصبية، قال عليه السلام : «فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية، وأحقاد الجاهلية، وانّما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته... فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية، فانّه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان... فالله الله في عاجل البغي وآجل وخامة الظلم، وسوء عاقبة الكبر، فانّها مصيدة ابليس العظمى، ومكيدته الكبرى التي تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة، فما تكدي أبداً، ولا تشوي أحداً، لاعالماً لعلمه ولا مقلاً في طمره»[2].

ومنها العجب، حيث قال عليه السلام : «واياك والاعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الاطراء، فانّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من احسان المحسنين»[3].

ومنها الجلوس في الأسواق، قال عليه السلام : «اياك ومقاعد الأسواق، فانّها محضرة الشيطان، ومعاريض الفتن»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٥.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٩٢.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

ومنها الغضب، قال عليه السلام: «وإياك والغضب، فانّه طيرة من الشيطان»[1].

وقال عليه السلام: «واحذر الغضب فانّه جند عظيم من جند إبليس»[2].

ومنها التزيين والتسويف قال عليه السلام: «والشيطان موكل به يزيّن له المعصية ليركبها، ويمنّيه التوبة ليسوّفها، حتى تهجم عليه منيّته عليه أغفل ما يكون عنها»[3].

ثم انّ لأتباع الشيطان مواصفات، يشير إليها أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم، ودب ودرج في حجورهم، فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزيّن لهم الخطل، فِعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه»[4].

ومع هذا فانّه سيتخلّى عنهم يوم القيامة ويتركهم بحسراتهم، قال عليه السلام: «وزيّن سيئات الجرائم، وهوّن موبقات العظائم، حتى إذا استدرج قرينته، واستغلق رهينته، أنكر ما زيّن، واستعظم ما هوّن، وحذّر ما امّن»[5]. وقال عليه السلام في الخوارج: «انّ الشيطان اليوم قد

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٧٦.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٦٩.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٧.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢.

استفلّهم، وهو غداً متبرّئ منهم، ومخلّ عنهم»[1]. كما ورد في القرآن الكريم عن لسان ابليس: ﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[2].

٢- الاغترار بالدنيا:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس انّ الدنيا تغرّ المؤمّل لها والمخلد اليها، ولا تنفس بمن نافس فيها، وتغلب من غلب عليها»[3].

وقال عليه السلام في صفة الغافلين: «أنسوا بالدنيا فغرتهم، ووثقوا بها فصرعتهم»[4].

وقال عليه السلام: «ولا تغرنّكم الدنيا كما غرّت من كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية، الذين احتلبوا درّتها، وأصابوا غرّتها، وأفنوا عدّتها، وأخلقوا جدتها، أصبحت مساكنهم أجداثاً، وأموالهم ميراثاً، لا يعرفون من أتاهم، ولا يحفلون من بكاهم، ولا يجيبون من دعاهم، فاحذروا الدنيا فانّها غدارة غرارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع، لا يدوم رخاؤها، ولا ينقضي عناؤها، ولا يركد بلاؤها»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨١.

٢- إبراهيم: ٢٢.

٣- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٧٨.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٨٨.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٩.

وقال عليه السلام: «ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب، فنبا بهم إلى منزل جديب، فليس شيء أكره إليهم ولا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه ويصيرون إليه»[1].

وقال عليه السلام في صفة الدنيا: «هيهات من وطئ دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن ازورّ عن حبائلك وفّق»[2].

وقال عليه السلام أيضاً في وصفها: «تغرّ وتضرّ وتمرّ، انّ الله تعالى لم يرضها ثواباً لأوليائه ولاعقاباً لأعدائه»[3].

٣- الغفلة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وانّي لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها»[4].

وقال عليه السلام: «فيالها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة، وأن تؤدّيه أيّامه إلى شقوة»[5].

وقال عليه السلام: «يا أيها الانسان ما جرّأك على ذنبك، وما غرّك بربك، وما آنسك بهلكة نفسك، أما من دائك بلول، أم ليس من نومتك يقظة، أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك، فلربما ترى الضاحي من

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٣١.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٥.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٠٣.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٨.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

حرّ الشمس فتظلّه، أو ترى المبتلى بألم يُمض جسده فتبكي رحمة له، فما صبّرك على دائك، وجلّدك على مصابك، وعزّاك عن البكاء على نفسك وهي أعزّ الأنفس عليك، وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة، وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته، فتداوَ مِنْ داء الفترة في قلبك بعزيمة، ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة، وكن لله مطيعاً، وبذكره آنساً، وتمثل في حال تولّيك عنه اقباله عليك، يدعوك إلى عفوه ويتغمّدك بفضله، وأنت متول عنه إلى غيره»[1].

وقال عليه السلام: «كم من مستدرج بالاحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله أحداً بمثل الاملاء له»[2].

ولسوء عاقبة الغفلة كان عليه السلام يتعوذ بالله من الغفلة قائلاً: «ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة»[3].

ومن نتائج الغفلة نسيان الآخرة كما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «قد غاب عنكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة»[4] وقال عليه السلام: «ولكنكم نسيتم ماذُكّرتم، وأمنتم ما حُذّرتم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتت عليكم أمركم»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٢.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١١٠.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦١.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٢.

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٥.

ومن صفات الغافل انّه «يتعلّل بالسرور في ساعة حزنه، ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به، ضنّاً بغضارة عيشه، وشحاحة بلهوه ولعبه»[1]. بينا نرى انّ أولياء الله على عكس ذلك، فانّهم «إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صبّت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك، علماً انّ ازمة الأمور بيدك، ومصادرها عن قضائك»[2].

٤- الذنوب والخطايا:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا وانّ الخطايا خيل شُمُس حُمل عليها أهلها، وخلعت لُجمها، فتقحّمت بهم في النار»[3].

وكان يحذّر أصحابه ويقول: «احذروا الذنوب المورّطة، والعيوب المسخطة»[4].

ومن جملة الذنوب الاستخفاف بها، قال عليه السلام: «أشد الذنوب ما استخف به صاحبه»[5].

ومنها الكبر والحسد، قال عليه السلام: «الحرص والكبر والحسد دواع إلى التقحّم في الذنوب، والشرّ جامع مساوئ العيوب»[6].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٢٠.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٢٢٦.

٣- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٦.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٢

٥- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٤٦٥.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦٠.

وقال عليه السلام: «ولا تكونوا كالمتكبر على ابن امّه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد، وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب، ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر الذي أعقبه الله به الندامة، وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة... استعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر، فلو رخّص الله في الكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبيائه ولكنه سبحانه كرّه إليهم التكابر ورضي لهم التواضع»[1].

ومنها الرياء، قال عليه السلام: «واعلموا انّ يسير الرياء شرك»[2].

وكان عليه السلام يدعو بهذا الدعاء: «اللهم انّي أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي، وتقبح فيما أُبطن لك سريرتي، محافظاً على رياء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه منّي، فأبدي للناس حسن ظاهري، وأُفضي إليك بسوء عملي، تقرّباً إلى عبادك، وتباعداً من مرضاتك»[3].

ومنها العجب، قال عليه السلام: «واعلم انّ الاعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب»[4] وقال عليه السلام: «واياك والاعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فانّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق ما يكون من احسان المحسنين»[5].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٥

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٦٧.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥٣.

وقال عليه السلام: «سيئة تسوءك خير عند الله من حسنة تعجبك»[1]. وليس هذا الّا لسوء حالة العجب. وقال عليه السلام: «الاعجاب يمنع من الازدياد»[2].

ومنها الخيانة في الأمانة، قال عليه السلام: «ومن استهان بالأمانة، ورتع في الخيانة، ولم ينزّه نفسه ودينه عنها، فقد أحلّ بنفسه في الدنيا الخزي، وهو في الآخرة أذلّ وأخزى»[3].

ومنها البغي والعدوان، قال عليه السلام في كتابه لمعاوية: «انّ البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه، ويبديان خلله عند من يعيبه»[4] وقال عليه السلام: «لو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف، لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه»[5].

ومنها البخل، قال عليه السلام: «البخل جامع لمساوىء العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء»[6].

ومنها الحسد، قال عليه السلام: «ولا تحاسدوا فانّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»[7].

٥- الأمل:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس انّ أخوف ما أخاف عليكم

١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٤١.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٥٧.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٦.

٤- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٤٨

٥- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٥١.

٦- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٦٨.

٧- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٥.

اثنتان: اتباع الهوى وطول الأمل، فأمّا اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة»[1].

فنسيان الآخرة من لوازم طول الأمل، كما انّ ذكر الآخرة من لوازم تكذيب الأمل، يدل عليه قوله عليه السلام: «وكَذّبوا الأمل فلاحظوا الأجل»[2] وقال عليه السلام أيضاً: «لو رأى العبد الأجل ومسيره، لأبغض الأمل وغروره»[3].

كما انّ من لوازمه الأخرى الغفلة والغرور، قال عليه السلام: «واعلموا انّ الأمل يُسهي العقل، وينسي الذكر، فأكذبوا الأمل فانّه غرور، وصاحبه مغرور»[4].

ومنها كونه خادع، قال عليه السلام: «وأمله خادع له»[5].

ومنها الهلاك، قال عليه السلام: «وانّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم»[6].

ومنها سوء العمل، قال عليه السلام: «من أطال الأمل أساء العمل»[7].

ومنها تأخير التوبة قال عليه السلام: «لا تكن ممن ... يرجّي التوبة بطول الأمل»[8].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٤٢.

٢- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١١٣.

٣- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٢٥.

٤- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٨٥ .

٥- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ٦٣.

٦- المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٤٧.

٧- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٣٢.

٨- المصدر نفسه، قصار الحكم: ١٤٠.

الخاتمة

صفات أهل الآخرة

بعدما بيّنا منازل الآخرة كما ورد ذكرها في نهج البلاغة، وذكرنا المنجيات والمهلكات، يجدر بنا أن نذكر – ونحن في نهاية هذا الكتاب – بعض صفات أهل الآخرة عن لسانِ أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة لتكون ميزاناً نقيس أنفسنا بها، ونرى هل نحن من أهل الآخرة أم لا؟!:

قال عليه السلام «واعلموا انّ عباد الله المستحفظين علمه، يصونون مصونه، ويفجّرون عيونه، يتواصلون بالولاية، ويتلاقون بالمحبة، ويتساقون بكأس روية، ويصدرون برية، لا تشوبهم الريبة، ولا تُسرع فيهم الغيبة، على ذلك عقد خَلقهم وأخلاقهم، فعليه يتحابون، وبه يتواصلون، فكانوا كتفاضل البذر يُنتقى، فيؤخذ منه ويُلقى، قد ميّزه التخليص وهذّبه التمحيص»[1].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٤.

وقال عليه السلام: «قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دقّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة، ودار الاقامة، وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة، بما استعمل قلبه وأرضى ربه»[1].

وقال عليه السلام: «إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صُبت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك، علماً بأنّ أزمّة الأمور بيدك، ومصادرها عن قضائك»[2].

وقال عليه السلام: «انّما مثل من خَبَر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب، فأمّوا منزلاً خصيباً وجناباً مريعاً فاحتملوا وعثاء الطريق، وفراق الصديق، وخشونة السفر، وجشوبة المطعم، ليأتوا وسعة دارهم، ومنزل قرارهم، فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً، ولا يرون نفقة مغرماً، ولا شيء أحبّ اليهم مما قرّبهم من منزلهم وأدناهم من محلّهم»[3].

وقال عليه السلام لنوف البكالي: «يانوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، اولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن شعاراً، والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح»[4].

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١٩.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٢٦.

٣- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٣١.

٤- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٩٩.

وقال عليه السلام: «انّ أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا انّه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً، ودركهم لها فوتاً، أعداء ما سالم الناس، وسلم ما عادى الناس، بهم عُلم الكتاب وبه عَلموا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا، لا يرون مرجواً فوق ما يرجون، ولا مخوفاً فوق ما يخافون»[1].

وقال عليه السلام: «عباد الله، إنّ من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه، وأعد القرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، وهوّن الشديد، فنظر فأبصر، وذكر فاستكثر، وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده، فشرب نهلاً، وسلك سبيلاً جدداً قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلّى من الهموم، إلّا همّاً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمى، ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى.

قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، واستمسك من العرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس، قد نصب نفسه لله – سبحانه – في أرفع الأمور، من

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦.

إصدار كل وارد عليه، وتصيير كل فرع إلى أصله. مصباح ظلمات، كشاف غشوات، مفتاح مبهمات، دفاع معضلات، دليل فلوات، يقول فيفهم، ويسكت فيسلم.

قد أخلص لله فاستخلصه، فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفي الهوى عن نفسه، يصف الحق ويعمل به، لا يدع للخير غايةً إلّا أمّها، ولا مظنّةً إلّا قصدها، قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده وإمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله، وينزل حيث كان منزله»[١].

وقال عليه السلام: «واعلموا عباد الله انّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الاخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سُكنت، وأكلوها بأفضل ما أُكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، والمتجر الرابح، أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم، لا ترد لهم دعوة، ولا ينقص لهم نصيب من لذة»[٢].

وقال عليه السلام: «طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها، وعركت بجنبها

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦.

٢- المصدر نفسه، الكتاب رقم: ٢٧ .

بؤسها، وهجرت في الليل غُمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسّدت كفّها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم، أولئك حزب الله، ألا ان حزب الله هم المفلحون»[1].

وقال عليه السلام: «كان لي في ما مضى أخ في الله، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بذّ القائلين، ونقع غليل السائلين، وكان ضعيفاً مستضعفاً! فإن جاء الجد فهو ليث غاب، وصلّ واد، لا يُدلي بحجة حتى يأتي قاضياً، وكان لا يلوم أحداً على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعاً إلّا عند برئه، وكان يقول ما يفعل ولا يقول ما لا يفعل، وكان إذا غلب على الكلام لم يُغلب على السكوت، وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه. فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير»[2].

١- نهج البلاغة، الكتاب رقم: ٤٥.

٢- المصدر نفسه، قصار الحكم: ٢٨٠.

وقال عليه السلام في صفة المؤمن: «المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذلّ شيء نفساً، يكره الرفعة، ويشنأ السمعة، طويل غمه، بعيدٌ همّه، كثير صمته، مشغول وقته، شكور صبور، مغمور بفكرته، ضنينٌ بخلّته، سهل الخليقة، ليّن العريكة، نفسه أصلب من الصلد، وهو أذل من العبد»[1].



وهذا

آخر المطاف فيما يخص

منازل الآخرة في نهج البلاغة،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.



١- نهج البلاغة، قصار الحكم: ٣٢٤.

الفهرس

العنوان	الصفحة